شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٥)

الصحابي «هاشم المرقال»

محمد سليمان

كان واحداً من الصفوة المؤمنة، التي ضمّتهم تلك الصحبة المباركة لرسول الله ﷺ، وكان واحداً من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ومن الذين يدعون ربَّهم يريدون وجهه..

إنه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك ابن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة... بن نزار بن معدّ بن عدنان القرشي الزهري المدني. وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. وأخو مصعب ابن عمير لأمّه..

أبوه:

وعتبة بن أبي وقاص أبو هاشم كان قد شهد أحداً كافراً، و هو الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد حين رماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشجه في وجهه حتى غاب حلق المغفر في وجنتيه وأدمى شفتيه.. ومات عتبة هذا كافراً قبل فتح مكة..

أمّا إخوته: فقد ذكرت المصادر أنه له إخوة، وكان منهم نافع ابن عتبة ابن أبي وقاص، وقد شهد أحداً مع أبيه كافراً، ثم أسلم نافع يوم فتح مكة.[1]

كما ذكر بعضهم أنّ نافعاً هذا كان من شهداء معركة صفين ضدَّ معاوية ابن أبي سفيان، جاء هذا في كتاب الثقات لابن حبان: «نافع ابن عتبة بن أبي وقاص بن زهرة بن كلاب محدِّث، صحابيّ. سار إلى صفين مع علي عليه السلام، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. وأمّه زينب بنت خالد

---

١. أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب١ : ٤٦٩؛ شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد١٥ : ٤ عن الواقدي؛ وانظر أسد الغابة والإصابة: نافع.

بن عبيد بن سويد الكنانية. شهد أحداً مع أبيه كافراً، وعتبة أبوه هو الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد، ومات كافراً قبل الفتح، ثم أسلم نافع يوم فتح مكة.. ذاكراً مصادر ترجمته».[1]

فيما الذي وجدته، ويبدو أنه الصحيح أنّ أخاه حمزة بن عتبة، هو الذي شارك في معركة صفين، وكان يقاتل فيها إلى جانب الإمام علي عليه السلام حتى استشهد فيها، وكان يقول حين يطعن بالرمح وذلك عند غروب الشمس:

ماذا يُرجى من رئيس ملأَّ ❊ لستُ بفرّار ولا زُميلا
في قومه مستبدلاً مدلاَّ ❊ قد سئم الحياة واستملَّا
وكلَّ أغراضٍ له تملاَّ

وحين دعاه عمرو بن العاص في ميدان القتال بصفين، قال:

دعاني عمرو للقاء فلم أقِل ❊ وأي جواد لا يقال له هنى
وولى على طرف يجول بشكة ❊ مقلصة أحشاؤه ليس ينثنى
فلو أدركته البيض تحت لوائه ❊ لغودر مجدولاً تعاوره القنى
عليه نجيع من دماء تنوشه ❊ قشاعم شهب في السباسب تجتنى

---

١. كتاب الثقات، لابن حبان، الرقم ١١٣٧.

فرجع عمرو إلى معاوية فحدثه، فقال: لقد لقيت اليوم رجلاً هو خليق أن تدرسه الخيل بسنابكها، أو تُذريه في مداركها، كدَوس الحِصرم، وهو ضعيف الكبد، شديد البطش، يتلمظ تلمظ الشمطاء المفجعة..

وقال حمزة يوم التُّليل المنفرد، وهو الوقت الذي استشهد فيه رضوان الله تعالى عليه:

بلغا عني السكون وهل لي ❊ من رسول إليهم غير آن

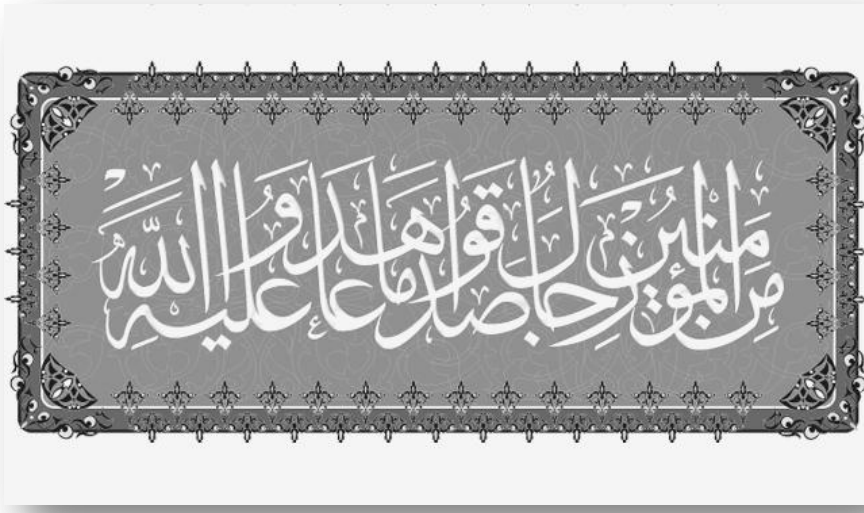

لم أصد السنان عن سبق الخيل ❊ ولم أتقي هذام السنان
حين ضج الشعاع من ندب الخيل ❊ لحرب وهر الكماة وقع اللدان

ومشى القوم بالسيوف إلى القوم * كمشي الجمال بين الإران.[١]

أما أبناؤه:

فقد ذكروا له عدداً من الأولاد وإن اختلفوا في أسمائهم، فمنهم من ذكر أنّ له ثلاثة أولاد وهم:

عبد الرحمن وعبد الله وعبد الملك، وأمهم أمية بنت عوف.. من الأزد، وله ابنة اسمها درة.[٢]

فيما ذكر آخرون أنّ له هاشم بن هاشم، وإسحاق بن هاشم، وسليمان، وحفصاً.[٣]

ومما تحدثت به المصادر أنّ لهاشم المرقال ابنين استشهدا معه في معركة صفين، وأنهما المقصودان بقول أمير المؤمنين عليه السلام في رثائه لهاشم بعد استشهاده:

يزيد وعبد الله بشر ومعبد * وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم

إلا أني وجدت البيت المذكور في شرح نهج البلاغة كالتالي:

---

١. وقعة صفين: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

٢. أنظر تاريخ دمشق٣٣ : ٣٤٧؛ والإصابة٤ : ٦٠١.

٣. أنظر التاريخ الصغير، للبخاري٢ : ٧٢؛ والثقات، لابن حبان٢ : ٣٤٢؛ وسير الذهبي٦ : ٢٠٦؛ والإصابة، لابن حجر٣ : ٢٠١؛ وتقريب التهذيب١ : ٢٢٩.

يزيد وسعدان وبشر ومعبدٌ * وسفيان وابنا معبدٍ ذي المكارم.[١]

عبدالله بن هاشم:

أما ابنه عبد الله، فيعدُّ أشهر أولاده، ويعدُّ وجيه الشيعة في البصرة.. وكان على سيرة أبيه إيماناً وجهاداً وشجاعةً، ولهذا أفردنا له هذه الوجيزة، التي ذكرت له بعد أن استُشهد أبوه هاشم يوم صفّين، فما إن استشهد حتى أخذ الراية بيده بعد أن دفعها إليه الإمامُ عليٌّ عليه السلام، وهو ما ذكره صاحب وقعة صفين وغيره من المؤرخين.

وقد راح يُرثي أباه قائلاً:

أهاشم بن عتبة بن مالك * أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنابك * في أسود من نقعهن حالك
أبشر بحور العين في الأرائك * والروح والريحان عند ذلك

فيما ذكر ابن أبي الحديد خطبةً بليغةً ألقاها عبدالله بعد استلامه الراية من الإمام عليٍّ عليه السلام، كانت محطّ اهتمام الرواة، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: «يأيها الناس، إنّ هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدر أرزاقهم، وكتب آثارهم، وأحصى أعمالهم، وقضى آجالهم؛ فدعاه الله

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٨ : ٣٥ مطبوعات إسماعيليان، قم المقدسة. وتأتينا كامل الأبيات في رثائه عليه السلام لهاشم وصحبه.

ربُّه فاستجاب لأمره، وسلّم لأمره، وجاهد في طاعة ابن عمٍّ رسوله، أول من آمن به، وأفقههم في دين الله، الشديد على أعداء الله، المستحلّين حُرم الله، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، و زين لهم الإثم والعدوان. فحقّ عليكم جهادُ من خالف الله، وعطّل حدوده، ونابذ أولياءه، جودوا بمهجكم في طاعة الله؛ في هذه الدنيا، تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى، والأبد الذي لا يفنى. فوالله لو لم يكن ثوابٌ ولا عقابٌ، ولا جنَّةٌ ولا نارٌ؛ لكان القتال مع عليٍّ أفضل من القتال مع معاوية، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون»؟![1]

كما عرف بأجوبته المفحمة لمعاوية وعمرو بن العاص، لما قبض عليه وأشخص به أسيراً إلى معاوية، بعد أن راح يقاتل جند معاوية بكلِّ قوة وبسالة أدهشت معاوية وعمرو وغيرهم من جند الشام، وفي أسره جرى بينه وبين عمرو بن العاص كلام أعجب معاوية، فكفّ عن قتله وأمر به إلى السجن. أما عن قصة اعتقاله، فقد جاء أن معاوية لما تمَّ له الأمر بعد وفاة علي عليه السلام بعث زياداً على البصرة ونادى منادي معاوية: أمن الأسود والأحمر بأمان الله، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة!

فمكث معاوية يطلبه أشدّ الطلب ولا يعرف له خبراً، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له: أنا أدلك على عبد الله بن هاشم ابن

---

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٨ : ٢٩-٣٠.

عتبة، أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية! فدعا كاتبه فكتب: من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حيّ بنى مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتي إلى دار فلانة المخزومية، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها، فأحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغلّ يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء، وانفذ به إليَّ...

فاقتحم الدار واستخرج عبد الله منها، فأنفذه إلى معاوية، فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصباً كثيراً، ومن الهجير ما غير جسمه، وكان معاوية يأمر بطعام، فيتخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام و وفود العراق.

فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسَهمَ وجهه فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص، فقال معاوية: يا أبا عبد الله، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا، قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين:

إني شَرَيْتُ النفس لما اعتلاَّ ❊ وأكْثَرَ اللوم وما أقلاَّ

أعور يبغي أهله محلاَّ ❊ قد عالج الحياة حتى ملاَّ

لا بد أن يفُلَّ أو يُفَلا ❊ أشلُّهم بذي الكعوب شلا

لاخير عندي في كريمٍ ولَّى

فقال عمرو متمثِّلاً:

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثرى

وتبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

وهذا البيت نسبه صاحب لسان العرب في حرف الدال: دمن، إلى زفر ابن الحرث، يعتذر من هزيمة انهزمها.[١]

قال عمرو بن العاص: دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب، فاشخب أوداجه على أسباجه، ولا تردَّه إلى أهل العراق، فإنه لايصبر على النفاق، وهم أهل غدر وشقاق، وحزب إبليس ليوم هيجاء، وأنّ له هوى سيرديه، ورأياً سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيئة سيئة مثلها.

فقال عبد الله: ياعمرو إن أُقتَل فرجلٌ أسلَمه قومه وأدركه يومه، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال، ونحن ندعوك إلى النزال، وأنت تلوذ بسمال النطاف، وعقائق الرصاف، كالأمة السوداء، والنعجة القوداء، لا تدفع يد لامس!

فقال عمرو: أما والله لقد وقعت في لهاذم شَذقم للأقران ذي لبد، ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب أمير المؤمنين.

فقال عبد الله: أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرخاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا وليت، هيابة إذا لقيت، تهدر كما يهدر العَوْد المنكوس المقيد، بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة، ولا يرتجى في الشدة، أفلا كان هذا منك إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً، ولم يمزقوا

---

١. لسان العرب، ابن منظور١٤ : ١٢.

كباراً، لهم أيدٍ شداد، وألسنة حداد، يدعمون العوج، ويذهبون الحرج، يكثرون القليل، ويشفون الغليل، ويعزون الذليل، ويذهبون الحرج، يكثرون القليل، ويشفون الغليل، ويعزون الذليل!

فقال عمرو: أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه، وتبق أمعاؤه، وتضطرب أطلاؤه، كأنما انطبق عليه صمد.

فقال عبد الله: يا عمرو، إنا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً، خلوت بأقوام لا يعرفونك، وجند لا يسامونك، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ إليك عقلك، ولتلجلج لسانك، ولاضطرب فخذاك اضطراب القَعود الذي أثقله حمله. فقال معاوية: إيهاً عنكما، وأمر باطلاق عبد الله.

فقال عمرو لمعاوية:

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتني

وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أليس أبوه يا معاوية الذي

أعان عليّاً يوم حزِّ الغَلاصم

فلم ينثني(فما برحوا)حتى جرت من دمائنا

بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يُشبه شيخه(أصله)

ويوشك أن تقرع به سن نادم!

(ستقرع إن أبقيته سِنّ نادم)

فقال عبد الله يجيبه:

معاويَ إن المرء عمراً أَبَتْ له
ضغينةُ صدرٍ غشُّها غير نائم
يرى لك قتلي يا ابن هند وإنما
يرى ما يرى عمرُو ملوك الأعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم
إذا منعت عنه عهودُ المسالم
وقد كان منا يوم صِفّين نفرةٌ
عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى إلا كأضغاث حالم
فإن تعْفُ عني تعفُ عن ذي قرابةٍ
وإن تَرَ قتلي تستحل محارمي

فأطرق معاوية طويلاً حتى ظنّ أنه لن يتكلم، ثمّ قال:

أرى العفو عن علياقريش وسيلة*إلى الله في اليوم العبوس القماطر
ولست أرى قتلى فتى ذا قرابة * له نسب في حي كعب وعامر
بل العفو عنه بعد ما خاب قدحه*وزلت به إحدى الجدود العواثر
وكان أبوه يوم صفين محنقاً * علينا فأردته رماح يحابر

ثم قال له: أتراك فاعلاً ما قال عمرو من الخروج علينا!

قال: لاتسل عن عقيدات الضمائر، لاسيما إذا أرادت جهاداً في طاعة الله.

قال: إذن يقتلك الله كما قتل أباك!

قال: ومن لي بالشهادة!

فأحسن معاوية جائزته، وأخذ عليه موثقاً ألا يساكنه بالشام فيفسد عليه أهله.[1]

صفات هاشم:

من صفات هاشم الجسدية: أنه كان ضخم الجسم، فقد قال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر عن السّديّ عن عبد خير الهمداني، قال: قال هاشم قبل مقتله: أيّها الناس، إنّي رجل ضَخْم، فلا يَهولَنّكم مَسقَطي إذا سقطت...

كما أنه امتاز بصفات كبيرة ورائعة فهو فارس مقدام، وشاعر بارئع، وخطيب مفوّه، نجد كلَّ هذا فيما يأتينا من فصول حياته.[2]

كنيته:

---

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٨ : ٣٣-٣٤؛ وقعة صفين٣٤٨-٣٤٩.

٢. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ): ٣٢٨،٣٤٠؛ وعنه شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٨ : ٣٤.

يُكنّى أبا عمرو وأبا عُتبة.

أما لقبه: فيعرف بالمرقال. والمرقال: هو ضَربٌ من العَدْو، وقد نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يقول له: «أرقِلْ يا ميمون». وفي مختصر تاريخ دمشق: لقب بالمرقال؛ لأنّ علياً رضي الله عنه أعطاه الراية بصفين، فكان يرقل بها؛ أي يسرع.. وعن الدولابي في الإصابة: لقب هاشم بالمرقال؛ لأنه كان يُرقل في الحرب أي يُسرع، من الإرقال وهو ضربٌ من العَدْو، وفي المعجم: والمرقال: السريعُ أو الكثيرُ الإرقال. يُقال: جملٌ مِرقال، وناقةٌ مِرقال. ويُقال: هو مرقالٌ في النوازل والحروب وغيرهما، (جمعه:) مراقيل.

ومما جاء في تاج العروس للزبيدي في رقل وأرْقَلَ: أسْرَعَ وقد أرْقَلَتِ النَّاقَةُ إرْقالاً وقيلَ: الإرْقالُ ضَرْبٌ مِنَ الخَبَبِ ورَوَى أبوعُبَيْدٍ عن أصْحابهِ : الإرْقالُ والإجذامُ والإجْمازُ: سُرْعَةُ سَيْرِ الإبل. وفي حديثِ قُسٍّ ذِكْرُ الإرْقالِ وهو ضَرْبٌ مِن العَدْوِ فَوْقَ الخَبَب؛ وقالَ النَّابغَةُ:

إذا اسْتُنْزِلُوا للطَّعْنِ عَنْهُنَّ أرْقَلُوا * إلَى المَوْتِ إرْقالَ الجمالِ المَصاعِبِ

وفي قصِيدَةِ كَعْب بن زُهَيْر:

فيها عَلى الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغِيلُ

وناقَةٌ مِرْقَالٌ كمِحْرَابٍ ومُرْقِلٌ ومُرْقِلَةٌ كمُحْسِنٍ ومُحْسِنَةٍ: مُسْرِعَةٌ الأخِيرَةُ عن ابنِ سيده أي كَثِيرَةُ الإرْقال قالَ طَرَفَةُ:

وإنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عندَ احْتِضارِهِ * بعَوْجَاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي

ثم ذكر التالي: والْمِرْقالُ: لَقَبُ هاشِمِ بنِ عُتْبَةَ ابنِ أبي وَقَّاصٍ الزُّهريِّ ابن أخي سَعْدٍ من مُسْلِمَةِ الفَتْح لأَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ أعْطَاهُ الرَّايَةَ بصِفِّينَ فكانَ يُرْقِلُ بها أي يُسْرِعُ، وقد قُتِلَ بصِفِّينَ رَضِيَ اللهُ تَعالى عنه.

وأرْقَلُوا في الحَرْب: أسْرَعُوا وهو مَجازٌ. وفُلانٌ يَرْقُلُ في الأمور وهو مِرْقالٌ؛ واسْتَعارَ أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُ الإرْقالَ لِلرِّماح فقالَ:

أمَا إنهُ لو كانَ غَيْرُكَ أرْقَلَتْ ... إليهِ الْقَنا بالرَّاعِفاتِ اللَّهازم

يَعْنِي الأَسِنَّةَ.

وفي معركة صفين قال معاوية لعمرو: ويحك، إنّ اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة، وقد كان من قبل يُرقل به إرقالاً،... وفي موضع آخر: ولم يزل عمار بهاشم ينخُسه حتى اشتد القتال، وزحف هاشم بالراية يُرقل بها إرقالاً...[1]

وكذا يعرف بالأعور

لأنه فقد عينه اليمنى في معركة اليرموك حتى صار العور أو كاد أن يكون له صفة يفتخر بها، ويحب أن يُنادى بها؛ لأنها إصابة حدثت في سبيل الله تعالى، حتى راح الإمامُ عليٌّ عليه السلام وبعضُ أصحابه يمازحونه بها،

---

١. أنظر مختصر تاريخ دمشق٢٧ : ٥٠ وذكر مصادره في هامشها؛ و الإصابة٦ : ٨٩١٨ و المعجم الوسيط و تاج العروس...

وهو يخوض وقائع معركة صفين، فقد جاء في كتاب وقعة صفين: ودفع عليٌّ الرايةَ إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت عليه [ذلك اليوم] درعان، فقال له عليٌّ عليه السلام كهيئة المازح:

أيا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟

قال: ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لألفن بين جماجم القوم لفَّ رجل ينوى الآخرة...

ولما دفع عليٌّ عليه السلام الراية إلى هاشم، قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم ـ يكررها ـ ثم قال: مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك، أعوراً وجُبناً؟... وأخذ الراية فهزها فقال له رجل من أصحابه: امكث قليلاً ولا تعجل.

فقال هاشم:

قد أكثروا لومى وما أقلاَّ ❊ إنى شريتُ النفس، لن أعتلاَّ

أعورُ يبغى نفسه محلاَّ ❊ قد عالج الحياة حتى ملَّا

لا بد أن يفُلَّ أو يُفلاّ ❊ أشدهم بذى الكعوب شلاَّ

وقد كان عليٌّ عليه السلام قال له: أتخاف أن تكون أعورَ جباناً أيا هاشم المرقال؟

قال: يا أمير المؤمنين، أما والله لتعلمنِّي ـ إن شاء الله ـ ألفُّ اليوم بين جماجم القوم. فحمل يومئذ يرقل إرقالاً.

وكانت هذه الصفة من أرجوزته، وهو يجول في صفين:

أعور يبغى نفسه خلاصا * مثل الفنيق لابساً دلاصا

قد جرب الحرب ولا أناصا * لادية يخشى ولا قصاصا

كل امرئ وإن كبا وحاصا * ليس يرى من موته مناصا

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع من جند معاوية ـ وهو رجل من عذرة ـ وهاشم حاسر وهو يقول:

يا أعور العين وما بى من عور * أثبت فإنى لست من فرعى مضر

نحن اليمانون وما فينا خور * كيف ترى وقع غلام من عُذر

ينعى ابن عفان ويلحى من غدر*سيان عندي من سعى ومن أمر.

نصر، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبى ثابت قال:

لما كان قتال صفين والراية مع هاشم بن عتبة ـ قال ـ جعل عمار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعور.

لا خير في أعورَ لا يأتي الفزع

قال: فجعل يستحي من عمار، وكان عالماً بالحرب، فيتقدم فيركز الراية، فإذا تتامّت إليه الصفوف قال عمار: أقدم يا أعور.

لا خير في أعورَ لا يأتي الفزع

ولم يزل عمار بهاشم ينخسه حتى اشتد القتال، وزحف هاشم بالراية يرقل بها إرقالاً، وكان يسمى المرقال. قال: وزحف الناس بعضهم

إلى بعض، والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله، وكثرت القتلى في الفريقين كليهما.[١]

من صفاته الجسدية:

أشرنا سابقاً أنه كان ضخم الجسم، فقد قال نصر: وحدثنا عمرو ابن شمر عن السّديّ عن عبد خير الهمداني، قال: قال هاشم قبل مقتله: أيّها الناس، إنّي رجل ضَخْم، فلا يَهولَنّكم مَسقَطي إذا سقطت...

إسلام المرقال:

لقد وفق هذا الرجل لاعتناق الإسلام، يوم فتح مكة في العشرين من شهر رمضان سنة ٨ هجرية، و عمره كما قد يبدو أكثر من ثلاثين سنة، و مع أنّ إسلامه تأخر حتى يوم فتح مكة، إلاّ أنه آمن إيماناً صادقاً شهد له الكثيرون، و شهدت بذلك مواقفه المتصفة بالوفاء لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله و في الدفاع عن الإسلام، و ولائه لمنهج الحق و العدل المتمثل بإمامة علي عليه السلام، و هو خير دليل على عمق إسلامه و صدق إيمانه. رغم أنّ أباه عتبة بن أبي وقاص كان من عتاة قريش، و من أشدّ الناس على النبيّ صلى الله عليه وآله. و هو الذي كسر رباعيته صلى الله عليه وآله يوم أحد كما ذكرنا،

---

١. أنظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري: ٣٢٦ـ ٣٢٨، ٣٤٧ـ ٣٤٨، وسنذكر تفاصيل مواقفه الكبيرة حين نتحدث عن دوره في معركة صفين.

و قد بقي أبوه هذا على شركه وعداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله و لدينه الحنيف حتى مات.

مواقفه: ذكرت له مصادر التاريخ مواقف عديدة اتسمت بالوعي و الإخلاص، وراحت تتمثل عبر:

خطبه و أشعاره.

و قتاله المتصف بشجاعته و فروسيته.

و معاركه العديدة.

حتى كانت دليلاً واضحاً على ذلك، فقد قضى حياته منذ أن آمن جندياً نذر نفسه في الدفاع عما اعتقد به من مبادئ الإسلام وقيمه ورموزه المخلصين الصادقين، فقد شارك الرجل في الشام في معركة اليرموك ضدَّ الروم، وحين أراد أبو عبيدة بن الجرّاح اختياره على الرجّالة في هذه المعركة، قال: «أولّيها إن شاء الله مَن لا يُخاف نكولُه ولا صدوده عند البأس، أولّيها هاشمَ بن عتبة بن أبي وقّاص». وقد فُقِئت فيها إحدى عينيه..

ثم التحق بعمّه سعد بن أبي وقاص مع ألف فارس في معركة القادسية التي وقعت سنة ١٥ هجرية في عهد الخليفة الثاني، وقد تولى هاشم فيها ميسرة الجيش، «وأبلى فيها بلاء حسناً وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد وكان سبب الفتح على المسلمين وكان بهمة من البهم فاصلاً خيراً».

وهكذا هو في فتح العراق، وفي فتح المدائن، وجلولاء، وحلوان، وأذربيجان، وختمها بل وختم حياته الجهادية الطويلة هذه بوسام الشهادة بين يدي إمام المتقين عليٍّ عليه السلام في معركة صفين التي خاضها ضدَّ القاسطين معاوية وأتباعه، وكانت له في جميع مشاهده مواقف حاسمة حتى عدَّ بسببها من كبار القادة، وذوي الخبرات القتالية، ورسم خططها وكيفية إدراتها.. وفيه يقول عامر بن واثلة:

يا هاشم الخير جُزيت الجنة

قاتلت في الله عدوَّ السّنة * أفلج بما فُزت به من مِنّه.[1]

ولاؤه للإمام عليٍّ عليه السلام:

عرف الرجل بأنه من أتباع الإمام وخواصه، وكان من المبادرين لبيعته عليه السلام، فقد ذكر في الإصابة أنّ المرزباني قال: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة، قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة عليٍّ. فقال: لا تعجل.

فوضع هاشم يده على الأخرى، فقال: هذه لعلي عليه السلام وهذه لي، وقد بايعت علياً عليه السلام، وفي لفظ المرزباني: ... كان شيعياً، وقال لما قتل

---

١. أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبرّ (ت٤٦٣ هـ) ٢ : باب الأفراد في حرف الهاء؛ ومختصر تاريخ دمشق٨ : ٥١؛ وانظر ترجمته في أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين١٠ : ٢٥٠-٢٥٢.

عثمان: هذه يميني لعلي عليه السلام وشمالي لي وقد بايعته وكان بالكوفة، كان هذا منه بعد أن دخل على أبي موسى الأشعري، وهو أمير الكوفة يومئذ فقال: يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة بعد نبيها علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

لا تعجل حتى تنظر ما يصنع الناس وعلى من يكون اجتماعهم، فخرج من عنده وهو واضع يده اليمنى على اليسرى يقول: هذه بيعتي لخير الأمة بعد نبيها علي بن أبي طالب عليه السلام وأتى منزله فجرد معه من بنيه من كان منهم قد انبت، وخرج بهم إلى أمير المؤمنين إلى ذي قار فكان أول من قدم عليه، واستشهد بين يديه في صفين، ثمَّ أنشد:

أبايع غير مكترث عليّاً * ولا أخشى أميراً أشعريا

أبايعه وأعلم أن سأرضي * بذاك الله حقّاً والنبياً.[1]

ثمَّ راحت مواقفه الولائية للإمام علي عليه السلام تتوالاً، مدعومةً ببصيرة منه وإخلاص، فهذا هو في:

معركة الجمل، التي وقعت في البصرة بين الإمام علي عليه السلام، ومَن نكثوا بيعتهم له بالخلافة: الزبير وطلحة ترافقهم أمُّ المؤمنين عائشة، طلب منه الإمام عليه السلام وهو في ذي قار أن يستنفر الناس في الكوفة لقتال الناكثين.

---

١. أنظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ٦: حرف الهاء رقم ٨٥٢٦؛ ومختصر أخبار شعراء الشيعة، للمرزباني الخراساني (ت٣٨٤ هـ) : ٣٨ ـ ٣٩.

ففي الخبر: ما إن انتهى إليه أمرُ اجتماع هؤلاء الثلاثة، حتى وجّه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ـ وكان على قول ممن نزل الكوفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ليستنهض أهل الكوفة، ثم أردفه بابنه الحسن وبعمار بن ياسر، فساروا حتى دخلوا الكوفة، وأبو موسى يومئذ بالكوفة...

وفي خبر أنه حمل كتاباً من الإمام عليٍّ عليه السلام لأبي موسى الأشعري، فقد جاء في كتاب الجمل، وتحت عنوان: كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري: ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال، وكتب معه كتاباً إلى أبي موسى الأشعري ـ وكان بالكوفة من قبل عثمان ـ وأمره أن يوصل الكتاب إليه؛ ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه، وكان مضمون الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم: «من عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: أما بعد، فإني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال؛ لتشخص معه من قبلك من المسلمين، ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، وأحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم، فأشخص بالناس إليَّ معه حين يُقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه، فإني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الأمر، والسلام».

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري، فلما وقف عليه، دعا السائب بن مالك الأشعري، فأقرأه الكتاب، وقال له: ما ترى؟ فقال

السائب: اتبع ما كتب به إليك. فأبى أبو موسى ذلك وكسر الكتاب ومحاه، وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوّفه ويتوعّده بالسجن!

فقال السائب بن مالك: فأتيت هاشماً فأخبرته بأمر أبي موسى.

فكتب هاشمٌ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإني قدمت بكتابك على امرئ عاقٍّ شاقٍّ بعيد الرحم، ظاهر الغلِّ والشقاق، وقد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المحلِّ ابن خليفة أخي طيّءٍ، وهو من شيعتك وأنصارك، وعنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك، واكتب إليَّ برأيك أتبعه والسلام.

فلما قدم الكتاب إلى عليٍّ عليه السلام وقرأه، دعا الحسن ابنه وعمار ابن ياسر وقيس بن سعد، وبعثهم إلى أبي موسى، وكتب معهم...[1]

نفوره و أهل الكوفة:

ولما قرر هذا الصحابي الجليل وأهل الكوفة النفور إلى الإمام عليٍّ عليه السلام والإلتحاق بجيشه نحو البصرة، اصطحب معه من أولاده من كان منهم قد أنبت، راح يذكر نفورهم إلى عليٍّ عليه السلام:

وسِرْنا إلى خيرِ البريّة كلِّها * على عِلمنا أنّا إلى الله نَرجعُ

---

١. أنظر الأخبار الطوال، للدينوري (ت٢٨٢ هـ)؛ وكتاب الجمل، للشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ) تحقيق السيدعلي مير شريفي: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ مع مصادره في هامش الصفحتين المذكورتين.

نُـوقِّـرهُ فـي فَـضلهِ ونُجِلُّه * وفـي الله مـا نَرجو وما نَتوقّعُ
ونَخصفُ أخفافَ المِطيّ على الوجا*وفي اللهمانُزجي وفي الله نُوضعُ
دَلَفْنا بجمعٍ آثروا الحقَّ والهدى * إلـى ذي تُقىً في نَصرهِ نتسرّعُ
نُكافحُ عنه والسيوفُ شـهـيرةٌ * تُصافحُ أعناقَ الرجالِ فتَقطَعُ

فلما قدم أهل الكوفة على عليٍّ عليه السلام، سلّموا عليه، وقالوا: الحمد لله يا أمير المؤمنين، الذي اختصنا بموازرتك، وأكرمنا بنصرتك، قـد أجبنـاك طائعين غير مكرهين، فمرنا بأمرك. فقام فحمد الله وأثـنى عليـه وصـلّى على رسوله، وقال:

«مرحباً بأهل الكوفة، بيوتـات العـرب ووجوههـا، وأهـل الفضـل وفرسانها، وأشدّ العرب مودة لرسول الله صـلى الله عليـه ولأهـل بيتـه، ولذلك بعثت إليكم واستصرختكم عند نقض طلحة والزبير بـيعتي، عـن غير جور مني ولا حدث، ولعمري لو لم تنصروني بأهل الكوفة، لرجـوت أن يكفيني الله غوغاء الناس، وطغام أهل البصرة».

مع أنّ عامة من بها ووجوهها وأهل الفضل والدين قـد اعتزلوهـا، ورغبوا عنها. فقام رؤوس القبائل فخطبـوا وبـذلوا لـه النصـر، فـأمرهم بالرحيل إلى البصرة.[1]

---

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد؛ الاستيعاب٢ : باب الأفراد في حرف الهاء.

وبات الفريقان يكتبون الكتائب، وقد أوقدوا النيران في العسكرين، فلما أصبحوا تزاحفوا، وقد استعمل عليٌّ عليه السلام على الخيل عمار ابن ياسر...، ودفع الراية العظمى إلى هاشم بن عتبة المرقال، وفي قولٍ أنه كان على خيل قريش وكنانة...

وعن أيامها... وخرج يوماً آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك، فاقتتلوا بين الصفين جُلَّ النهار، فلم يفرّ أحدٌ من أحدٍ...

وجاء في معجم تراجم أعلام الجمل، الذي ألحقه المحقق بآخر كتاب الجمل للشيخ المفيد: «هاشم بن عتبة... كان من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد معه الجمل وقتل بها».

ويبدو أنّ هذا اشتباه من المحقق، فهو على خلاف ما نقلته المصادر الأخرى من أنه كان له دور كبير في وقعة صفين التي حدثت بعد الجمل، وأنه استشهد فيها رضوان الله عليه.[1]

وفي معركة صفين:

لما أراد الإمام عليٌّ عليه السلام أن يتوجه نحو الشام، دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، ووقف خطيباً فيهم قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى

---

١. الأخبار الطوال، للدينوري: ١٧١ و١٧٤؛ وكتاب الجمل، للمفيد :٣٢١ ، ٥٠٧.

عليه: «أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل الحقّ، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم، فأشيروا علينا برأيكم»...

فانبرى هاشم خطيباً: فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعدُ يا أمير المؤمنين، فأنا بالقوم جِدُّ خبير، هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حَرثَ الدنيا أولياء، وهم مُقاتلوك ومُجادلوك لا يُبقون جهداً، مشاحّةً على الدنيا، وضَنّاً بما في أيديهم منها، وليس لهم إربة غيرها إلاّ ما يخدعون به الجهّال من الطلب بدم عثمان بن عفان كذِبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكنّ الدنيا يطلبون، فسِرْ بنا إليهم، فإنّ أجابوا إلى الحقّ.. فليس بعد الحقّ إلاّ الضَّلال، وإن أبَوا إلاّ الشِّقاق.. فذلك الظنّ بهم. واللهِ ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممّن يُطاع إذا نهى، ويُسمَع إذا أمر».

وهكذا قام عمار بن ياسر فقيس بن عبادة وسهل بن حنيف...[1]

دعاء الإمام عليه السلام لهاشم بالشهادة وبالرفقة لرسول الله صلى الله عليه وآله:

كان هذا بعد أن قام هاشم خطيباً قبل بداية المعركة بقليل، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

١. أنظر وقعة صفين : ٩٢.

«سربنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان، ووعدهم الأباطيل ومناهم الأماني، حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربنا. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله عليه السلام رحماً، وأفضل الناس سبقة وقدماً. وهم يا أمير المؤمنين منك مثل الذي علمنا. ولكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين. فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جذلة على من خالفك وتولى الأمر دونك. والله ما أحب أن لي ما في الأرض مما أقلت، وما تحت السماء مما أظلت، وأني واليت عدواً لك، أو عاديت ولياً لك».

فقال عليٌّ عليه السلام: «أللهم ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيك صلى الله عليه وآله»!

ثم إنّ عليّاً عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم قال:

«إنّ الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه،... ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه، وتناول ما ليس له وما لا يدركه: معاوية وجنده، الفئة الباغية الطاغية، يقودهم

إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره. وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما أنالكم من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى»...

فلما انتهى الإمام عليه السلام من خطبته، قام الإمامان الحسن فالحسين عليهما السلام، فألقى كل واحد منهما خطبته...

وهكذا هو مبادر أيضاً في ميدان القتال، وقد كان معه لواء علي عليه السلام يرقل به إرقالاً، حتى قال معاوية لعمرو: «ويحك، إنّ اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة، وقد كان من قبل يرقل به، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً إنه لليوم الأطول لأهل الشام، وإن زحف في عنق من أصحابه إنى لأطمع أن تقتطع».

وهو على أربعة آلاف قد شروا بأنفسهم الموت، وكانت راياتهم سوداً، وكان في ساحات صفين يدب دبيباً. وقد وجدت هذا في بيت من أرجوزة للإمام علي عليه السلام، حيث يخاطب جنده، وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدمهم، قائلاً:

دبوا دبيب النمل لا تقوتوا ❊ وأصبحوا بحربكم وبيتوا

ولما رأى عمرو بن العاص ذلك قال: إن كان ذا دأب صاحب الرايات السود تفانت العرب اليوم.. «أو» إنى لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً، لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم.

لقد كان واحداً من أصحاب عليٍّ عليه السلام، الذين أنزلوا الغمَّ على معاوية؛ ولما تعاظمت الأمور على معاوية [قبل قتل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب] دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة وعبيد الله بن عمر ابن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب عليٍّ، منهم سعيد بن قيس في همدان، والأشتر في قومه، والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار..

ومن فصول معركة صفين، أن خرج عمرو بن العاص، لملاقاة هاشم المرقال، فجعل يقول:

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشما ❊ ذاك الذي أجشمني المجاشما

ذاك الذي يشتم عرضي ظالما ❊ ذاك الذي أقام فينا المأتما

ذاك الذي إن ينج مني سالما ❊ يكن شجى حتى الممات لازما

فسمعه هاشم ، فخرج إليه وهو يرتجز ويقول:

لا عيش إن لم ألق يومي عمرا ❊ ذاك الذي نذرت فيه النذرا

ذاك الذي أغدرت فيه الغدرا ❊ ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا

أو يحدث الله لأمر أمرا ❊ لا تجزعي يا نفس صبرا صبرا

ضربا إذا شئت وطعنا شزرا ❊ يا ليت ما تحتي يكون قبرا!

ثم حمل على عمرو بن العاص واختلفا بطعنتين، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة، فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دماً.. وفي يوم آخر من أيام صفين غدا عمرو بن العاص في حماة الخيل،

فقصد المرقال، ومع المرقال لواء عليٍّ الأعظم، في حماة الناس، وكان عمرو من فرسان قريش، فتقدم وهو يقول:

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشما * ذاك الذى أجشمني المجاشما

ذاك الذى أقام لى المآتما * ذاك الذى يشتم عرضى ظالما

ذاك الذى إن ينج منى سالما * يكن شجا حتى الممات لازما

فطعن في أعراض الخيل مزبداً، فحمل هاشم وهو يقول:

لا عيش إن لم ألق يومى عمروا * ذاك الذى أحدث فينا الغدرا

أو يحدث الله لأمر أمرا * لا تجزعي يا نفس صبراً صبرا

ضربا هذا ذيك وطعنا شزرا * يا ليت ما تجنى يكون قبرا

فطاعن عمروا حتى رجع. واشتد القتال وانصرف الفريقان [بعد شدة القتال]، ولم يسر معاوية ذلك...[1]

استشهاده رضوان الله عليه

وفي قصة استشهاده رضوان الله عليه ، جاء في الأخبار الطوال:

فلما أصبح عليٌّ عليه السلام غادى أهل الشام القتال، ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة، فقاتل بها نهاره كله، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافة، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة، فحمل

---

١. أنظر كتاب الفتوح، لابن الأعثم (ت٣١٤هـ) ٣ : ٤٣؛ وقعة صفين ٤٠٣ ، ٤٢٦ ـ ٤٢٨.

عليهم الحارث بن المنذر التنوخي، فطعنه طعنة جائفة، فلم ينته عن القتال، ووافاه رسول عليٍّ يأمره أن يقدم رايته.

فقال للرسول: «انظر إلى ما بي» فنظر إلى بطنه، فرآه منشقاً، فرجع إلى عليٍّ عليه السلام، فأخبره، ولم يلبث هاشم أن سقط، وجال أصحابه عنه، وتركوه بين القتلى، فلم يلبث أن مات. وحال الليل بين الناس وبين القتال. فلما أصبح عليٌّ عليه السلام غلَّس بالصلاة، وزحف بجموعه نحو القوم على التعبية الأولى، ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا. فروي عن القعقاع الظفري أنه قال: «لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه» وعليٌّ عليه السلام واقف ينظر إلى ذلك، ويقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ، وأنت خير الفاتحين».

ثم حمل عليٌّ عليه السلام بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم، فانصرف مخضباً بالدماء، فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه، وجرح عليٌّ عليه السلام خمس جراحات، ثلاث في رأسه واثنتان في وجهه، ثم تفرقوا وغدوا على مصافهم، وعمرو بن العاص يقدم أهل الشام، فحمل عبدالله بن جعفر ذو الجناحين في قريش والأنصار في وجه عمرو فاقتتلوا، وحمل غلامان أخوان من الأنصار على جموع أهل الشام حتى انتهيا إلى سرادق معاوية، فقتلا على باب السرادق، ودارت رحى الحرب إلى أن

ذهب ثلث الليل، ثم تحاجزوا، ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض، يستخرجون قتلاهم، فيدفنونهم.[١]

وفي قصة أخرى:

أنه ما إن قطعت رجله يوم صفين قبل أن يقتل، حتى جعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويتمثل قائلاً:

الفحل يحمي شولَه معقولاً

يضرب هذا مثلاً في احتمال الحُر الأمر الجليل في حفظ حرمه، وإن كانت به علة. والشول: جمعه شائلة على غير قياس: النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، ولم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أي بقية.[٢]

لقد قاتل هاشم الحارثَ بن المنذر التنوخي، حمل عليه بعد أن أعيا وكل، وقتل بيده، فطعنه بالرمح فشقَّ بطنه فسقط، وبعث إليه عليٌّ عليه السلام وهو لا يعلم: أقدم بلوائك، فقال للرسول: أنظر إلى بطني، فإذا هو قد انشق..

ثم حمل فصرع،فمرَّ عليه رجل وهو صريع بين القتلى، فناداه: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وقل له: بركات الله ورحمته عليك

---

١. أنظر الأخبار الطوال، للدينوري (ت٢٨٢هـ) : ١٨٣ ـ ١٨٤.

٢. المستقصى١ : ٣٣٨؛ مجمع الأمثال٢ : ٧٢؛ ولسان العرب: شول.

يا أميرالمؤمنين، أنشدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى، فإنّ الدبرة تصبح غداً لمن غلب على القتلى. فأخبر الرجل علياً عليه السلام بما قاله، فسار في الليل بكتائبه حتى جعل القتلى خلف ظهره، فأصبح والدبرة له على أهل الشام..

وما إن وقع المرقال شهيداً حتى جاءه الإمامُ عليٌّ عليه السلام ووقف عليه، وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه، وقوم من القراء، فجزع عليه، وقال يُرثيه وصحبه الشهداء:

جزى الله خيراً عصبة أسلمية ❊ صباح الوجوه صُرعوا حول هاشم

يزيد وسعدان وبشر ومعبد ❊ وسفيان، وابنا معبد ذي المكارم

وعروة لا يبعد نثاه وذكره ❊ إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم.[1]

وبكى عليه السلام على المرقال وعلى عمّار رضوان الله عليهما، ودفنهما بثيابهما إلى جنب بعض في المكان الذي فاضت روحاهما فيه، ولم يغسِّلهما إذ هما شهيدان.

ففي الفقيه للصدوق رحمه الله: «إن عليّاً عليه السلام لم يغسل عمار بن ياسر ولا هاشم بن عتبة ـ وهو المرقال ـ و دفنهما في ثيابهما بدمائهما ولم يُصلِّ عليهما».

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد٨ : ٣٤ ـ ٣٥، بتصرف.

يقول الشيخ الطوسي رحمه الله: «هكذا روي، ولكن الأصل أن لا يترك أحدٌ من الأمة إذا مات بغير صلاة». وكذا في التهذيب في ذيل هذه الرواية قوله: ولم يصل عليهما وهم من الراوي لأن الصلاة لا تسقط عنه على كل حال، يدل على ذلك... وذكر روايات..

وقد روى أبوالبختري، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: «أنّ علياً عليه السلام لم يغسل عمار بن ياسر ولا هاشم بن عتبة يوم صفين، ودفنهما في ثيابهما وصلى عليهما».[1]

هذا وقد جعل عمّاراً ممّا يلي المرقال وهاشماً أمام ذلك مما يلي القبلة،وصلّى عليهما.

وقد بلغ هاشم المرقال رضوان الله عليه أُمنيّته التي أنشدها بيتاً:

يا ليتَ ما تحتي يكون قبراً!

فسلام عليه في الصالحين!

وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة، وهو من الصحابة، وقيل: إنه آخر من بقي من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد مع عليٍّ عليه السلام صفين، وكان من مخلصي الشيعة:

يا هاشم الخير جزيت الجنة ❊ قاتلت في الله عدو السنه

---

١. قرب الإسناد، الحميري القمي :١٣٨.

والتاركي الحق وأهل الظنه * أعظم بما فزت به من منه
صيرني الدهر كأنى شنه * ياليت أهلى قد علوني رنه

من حوبة وعمة وكنه

والحوبة القرابة، يقال: لي في بني فلان حوبة، أي قربى.

لقد كان قتله وقتل عمار بن ياسر وغيرهم رضوان الله عليهم سروراً وافتخاراً لمعاوية وعمرو وجنودهما:

فهذا عمرو يفخر بذلك في أبيات له، كان منها:

ونحن قتلنا هاشماً وابن ياسر * ونحن قتلنا ابني بديل تعسفا

ويردُّ عليهم جَريش السكوني في قصيدة يخاطب معاوية حين رأى فرح أهل الشام مقتل هاشم، منها:

فإن تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا
وإنهما ممن قتلتم على الهدى * ثواء فكفوا القول ننسى التحوبا

ولما استشهدت هذه الثلة المؤمنة المجاهدة، اندفع عدي بن حاتم بلوائه يتبع الإمام عليّاً عليه السلام، وهو يقول:

أبعد عمار وبعد هاشم * وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حكم الحالم * وقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم * ليس امرؤ من يومه بسالم.[1]

---

١. وقعة صفين : ٣٥٩ ـ ٣٨٥، ٤٠١ ـ ٤٠٣.

قالوا عنه :

وردت بحقّه أقوال عديدة تثني عليه:

فهذا ابن الأثير في أسد الغابة يقول فيه: كان من الشجعان الأبطال، والفضلاء الأخيار.

وهذا ابن عبد البر في الاستيعاب يقول عنه: كان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البُهْم. فُقئت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسيّة وأبلى فيها بلاءً حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يَقُم من أحد، وكان سببَ الفتح على المسلمين.

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: بأنه كان موصوفاً بالشجاعة والإقدام.

وقال عنه ابن قتيبة الدينوري في المعارف: كان مع عليٍّ عليه السلام في صفين، وكان من أشجع الناس.

قال الخوارزميّ في مناقبه ـ وهو يتحدث عن هؤلاء الثلاثة ـ : هاشم المرقال، وعمّار بن ياسر، وعبدالله بن بُدَيل، كانوا فرسان العراق، ومَرَدة الحرب، ورجال المعارك وحُتوف الأقران، وأمراء الأجناد، وقد فعلوا بأهل الشام ما بقي ذكره على ممرّ الأحقاب.

وفي مستدرك الحا كم: ولما سألت عائشة عمن قتل من الناس في صفين، فقيل لها فيما قيل: هاشم بن عتبة، فقالت: ذاك رجل ما كادت أن تزلّ دابّته!

هاشم المرقال في أقوال بعض علماء الرجال عند الشيعة:

وأما هاشم في أقوال بعض علماء الرجال عند الشيعة، فقد عدّه الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب عليٍّ عليه السلام، وقال: «وسمي المرقال؛ لأنه كان يرقل في الحرب». وفي نسخة الميرزا زيادة جملة: «وكان صاحب راية ليلة الهرير».

وعن الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر، أنّ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، كان أحد الخمسة الذين كانوا مع أميرالمؤمنين عليه السلام من قريش.

فيما عدّه ابن شهرآشوب في مناقبه من وجوه الصحابة وخيار التابعين. قال عنه في فصل في حرب صفين: «وخرج حمزة بن مالك الهمداني قائلاً لهاشم المرقال:

يا أعور العين وما فينا عور * نبغي ابن عفان ونلحي من عذر

فقتله المرقال، فهجموا على المرقال فقتلوه.[1]

* * *

١. أنظر معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي رحمه الله ٢٠ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩، رقم: ١٣٢٩٥بتصرف.